

الظواهر الإعرابية وعلم الدلالة
Syntactic phenomena and semantics

أ.د. مبارك عبد القادر – Mobarek Aek

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

mobarek_aek@yahoo.fr

ط.د. لبايير عمر* – Omar Labair

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

omarlabair@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/07

تاريخ الاستلام: 2026/02/17

ملخص:

إنَّ تكوين الجملة العربية المفيدة لا يتوقف عند حدود انتقاء المفردات، بل يمتد ليشمل شرطاً ضابطاً يتمثل في الإعراب الذي يُفصح عن أغراض المتكلم بدقة. فمن خلال التنقل بين حالات الرفع والنصب والجر والجزم، يتشكل المعنى المراد في ذهن السامع. وقد ركز البحث على تتبع العلاقة القائمة بين النحو والدلالة، متسائلاً عن عمق الأثر الذي تتركه العلامة الإعرابية في إيضاح المعاني. وقد أثبتت نتائج البحث أن الحركات الإعرابية ليست مجرد زينة لفظية، بل هي أدوات دلالية أصيلة تساهم في كشف المعنى وتحليله. تتجلى أهمية الإعراب بصورة جلية في التراكيب التي يعترئها التقديم والتأخير؛ إذ تظل العلامة الإعرابية -من رفع ونصب- هي المعيار والمميز بين الوظائف النحوية كالفاعلية والمفعولية، مما يمنع اللبس في تحديد الأدوار داخل الجملة. ويمتد هذا الأثر ليشمل القراءات القرآنية، حيث يؤدي تنوع الوجوه الإعرابية فيها إلى إثراء المعاني وتعدد الدلالات ضمن إطار التكامل لا التضاد. ومن هنا تبرز خطورة اللحن النحوي، كونه لا يفسد بنية الكلمة فحسب، بل يمتد أثره لتقويض المعنى الجوهرى وتحريف المقصد المراد.

الكلمات المفتاحية: الظاهرة الإعرابية؛ علم الدلالة؛ المعنى؛ الكلمة.

Abstract:

The formation of a meaningful Arabic sentence depends not only on word choice but also on inflection (i'rab), which precisely conveys the speaker's intent. Changes in case endings -nominative, accusative, genitive, and jussive- shape meaning and clarify syntactic roles such as subject and object, especially in flexible word order structures. The study shows that these markers are essential semantic tools, not mere formal features, and that their variation, as seen in Qur'ānic readings, enriches meaning within a complementary framework. Therefore, grammatical error can distort both structure and intended meaning.

Keywords: syntactic phenomenon; semantics; the meaning; word.

1. مقدمة:

ظَلَّت ظاهرة الإعراب محوراً رئيساً في الدراسات اللغوية عبر عصورها المختلفة، إذ لا ينفصل بيان المتكلم لمقاصده عن رعاية أواخر الكلم؛ فبقدر العناية بانتقاء الألفاظ، تجب العناية بضبطها الإعرابي لضمان دقة التلقي. ومن هذا المنطلق، يلتزم المنشئ للقول بوجوب الرفع في مواضعه كالفاعلية، والنصب في أحواله كالمفعولية والحالية، فضلاً عن أحكام الجر والجزم، لتستقيم صورة المعنى. وانطلاقاً من هذه الرؤية، وُسم هذا البحث بـ (الظواهر الإعرابية وعلم الدلالة)، حيث يتناول بالتحليل مفهوم الإعراب وعلاقته بـ 'علم الدلالة' بوصفه علماً مستقلاً يُعنى بأصل المعنى، تمييزاً له عن 'علم المعاني' الذي يندرج ضمن الحقل البلاغي. وفي هذا السياق، ستعتمد الدراسة إلى استعراض نماذج من الآيات القرآنية التي تعددت وجوه قراءاتها تبعاً لتغير العلامة الإعرابية، وما استتبع ذلك من ثراء دلالي وتنوع في المقاصد؛ إذ يبرز هذا الأثر جلياً في اختلاف الفهم والتفسير، كما هو الحال في (آية الضوء) التي ترتب على تنوع إعرابها تباين في الأحكام الفقهية المتعلقة بالعبادات. ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، نظراً لفاعليته في رصد الظواهر الإعرابية وتوصيف ارتباطها الوثيق بالبنية الدلالية للنص.

فكيف يسهم اختلاف الموقع الإعرابي في تحديد المقصد المباشر من الكلام، وما هو حجم الأثر الذي يتركه هذا الاختلاف على بنية الدلالة وجوهر المعنى المراد إيصاله؟

2. تعريف الإعراب:

1.2. الإعراب لغةً:

يعدُّ الإعراب في أصله الاشتقاقي مصدراً للفعل الرباعي (أعرب)، وهو يحمل في طياته دلالات الإبانة والكشف؛ إذ يُقال في اللغة أعرب الرجل عما في نفسه إذا أظهره وجلاه. وقد استقر في لسان العرب أنَّ تعريب المنطق يعني تنقيته من شوائب اللحن وتصفيته، وهو ما يتقاطع مع مفهوم 'النحو' في كونه أداة للإفصاح عن المعاني الكامنة خلف الألفاظ. فالمتكلم يُوصف بأنه (مُعرب) إذا استقام بيانه ولم يقع في عثرات الإعراب، مما يجعل العملية الإعرابية مرادفاً للتوضيح الذي ينفي عن الكلام أي مظاهر للغموض أو الاضطراب اللفظي¹.

فالإعراب إذن هو ميزان استقامة اللفظ، ومعيّار الإبانة عن المعنى؛ إذ به يتخلص المتكلم من اضطراب العبارة، ويصل بمراحه من حيز الكتمان في الضمير إلى فضاء الإفصاح والبيان.

وذكر الأزهري كلاماً معناه أنه يتطابق مفهوم الإعراب والتعريب في جوهرهما الدلالي؛ إذ يشتركان في مادة (عرب) التي تفيد الكشف والبيان. ففي الاستعمال اللغوي، يُقال: (أعرب المرء عن حاجته) أو (عرب عنها) للإشارة إلى إبانة مقصده والإفصاح عن مكونات صدره. ومن هنا ارتبط وصف الفصاحة بالقدرة على (الإعراب) عما يختلج في الضمير، فكلما استبان الكلام وظهر مراد صاحبه بلا غموض، قيل إنه قد أعرب وأفصح².

واستدل الراغب بالحديث (الثَّيْبُ تُعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا)³، فيعدُّ الإعراب مرادفاً لـ (البيان) في اللغة؛ حيث يُقال: (أعرب عن مكنونه) أي أظهره وجلاه. وقد انسحب هذا المعنى على القواعد النحوية، فأصبح (إعراب الكلام) يعني إبراز فصاحته وتوضيح مقاصده، ليكون النطق تعبيراً صادقاً عن المعنى المراد دون لبس أو غموض⁴. الثيب جمعها الثياب جاء في القرآن العظيم قوله تعالى: "ثِيَابَ وَأَبْكَارًا" والثيب هو المدخول بها من قبل ومعنى الحديث أن الثيب تتكلم ولا تكتم ما في قلبها بخلاف البكر التي لم يسبق لها زواج.

وجاء عند ابن فارس تنوع مادة (عرب) في أصولها الاشتقاقية على ثلاثة محاور دلالية رئيسة؛ يتصدرها مفهوم الإبانة والكشف، وهو المقصد الجوهري في سياقنا هذا، حيث يُقال: (أعرب المرء عن نفسه) إذا جلا مقصده وكشف عن مراده. أما المحوران الآخران فيتصلان بـ النشاط وارتياح النفس، والاعتلال البدني. وبناءً عليه، فإن الارتباط الوثيق بين (الإعراب) وبين (الإيضاح) يمثل الجذر الأول والأهم في بنية اللغة، إذ يعكس قدرة المتكلم على تحويل الأفكار الكامنة إلى منطقيٍّ جلبيٍّ وبين⁵. واقتصرت على ما وضحه وما أشار إليه ابن فارس لحل الشاهد منه، وقيل: إِنَّ أَعْرَبَ بِمَعْنَى عَرَبَ. يُقَالُ: أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ وَعَرَّبَ.

وفيه يرى ابن قتيبة أنَّ علة تسمية الإعراب بهذا المصطلح تكمن في قدرته على (التبيين)، مفضلاً استخدام الفعل المخفف للدلالة على ذلك. وبالرغم من هذا التفضيل، يظلُّ القول بالتراصف بين الإعراب والتعريب قائماً، كونهما يشتركان في دلالة الإفصاح الجلي، ويختمان غرضاً تعبيراً واحداً يتمثل في إبانة الأفكار وتصويرها تصويراً دقيقاً للسامع.

يُمكن إجمال المعنى اللغوي السابق في كون الإعراب هو ميزان (البيان)؛ فكل ما انطوى تحت هذا المصطلح يهدف في أصله إلى تجلية المقاصد وتحويل الإبهام إلى وضوح تام وإفصاح لا لبس فيه.

2.2. الإعراب في الاصطلاح:

ينفصل المعنى الاصطلاحي للإعراب عن جذوره اللغوية القائمة على (الإفصاح)؛ فكلاهما يلتقيان عند وظيفة الإيضاح. ومن هنا، يكتسب الإعراب قيمته في الكلام كونه الضابط الذي يُفصح عن المعاني الدقيقة،

ويمنح الجملة قدرتها على إيصال المراد بوضوح تام، وهو ما يؤكد أنَّ جوهر الإعراب -لغةً واصطلاحاً- هو بيان المقصد⁶.

يؤصل ابن جني لمفهوم الإعراب بوصفه أداةً للإفصاح عن المعاني الكامنة خلف الألفاظ؛ إذ يرى أنَّ الوظيفة الجوهرية للعلامة الإعرابية تكمن في تمييز الأدوار النحوية داخل التركيب. ويستدلُّ على ذلك بالقدرة التمييزية للرفع والنصب في تحديد (الفاعلية) و(المفعولية) عند تغير رتبة الكلمات؛ ففي قولنا: «أكرم سعيداً أباه» و«شكر سعيداً أبوه»، لولا اختلاف الحركات الإعرابية لوقع اللبسُ واستبهمت المقاصد، ولعجز السامع عن الفصل بين القائم بالفعل والواقع عليه، مما يبرهن على أنَّ الإعراب هو الحارس لدلالة الجمل⁷.

يُعرَّف الإعرابُ بكونه المرشد الدلالي للمعاني الوظيفية التي تعتري الأسماء، مثل (الفاعلية) و(المفعولية) وغيرها من المواقع النحوية. ومن المقرر علمياً أنَّ هذه المعاني النحوية لا تلتصق بالكلمة إلا بعد استحضار دلالتها المعجمية وحقيقتها الذهنية أولاً؛ فالعلم بماهية الاسم هو المتمم لفهم دوره الإعرابي داخل السياق التركيبي للجملة⁸. وجاء في سياق آخر، أنه يُعرَّف الإعرابُ في الاصطلاح النحوي بوصفه علامةً دالةً على العامل، حيث يتخذ صوراً متعددة كالحركات والحروف والحذف والسكون. وفي دلالاته المعنوية، يشير إلى ظاهرة التغير الإعرابي التي تلحق أواخر الكلم جراء تعاقب العوامل المختلفة؛ وهذا التباين في أواخر الكلمات -لفظاً أو تقديرًا- هو الذي يمنح الجملة مرونتها الدلالية وقدرتها على الإبانة⁹.

ويرتكز التوجيه النحوي عند سيبويه على فكرة 'تغير أواخر الكلم' استجابةً للعوامل الداخلة عليها، وهو ما سماه ب (المجاري الثمانية). وبالنظر إلى هذه المجاري، نجد أنها تتوحد لفظاً في أربعة أضرب؛ فالرفع والضم يشتركان في الهيئة الصوتية، وكذلك الشأن في بقية الثنائيات (النصب والفتح، الجر والكسر، الجزم والوقف). هذا الحصر المنهجي يهدف إلى ضبط العلاقة بين 'العلامة اللفظية' و'الوظيفة النحوية'، مؤكداً أنَّ الإعراب هو المحرك الرئيس لتنوع معاني الكلمات داخل البناء الجملي¹⁰.

لقد اعتمد سيبويه في تصنيفه لهذه المسارات الثمانية على مبدأ المجانسة الصوتية؛ حيث قرن بين الحالات الإعرابية وما يشاكلها من حركات البناء، فجعل النصب والفتح صنفًا واحدًا في الهيئة، والرفع والضم صنفًا ثانيًا، والجر والكسر صنفًا ثالثًا، وصولاً إلى اقتران الجزم بالوقف. ويلاحظ أنَّ عدول سيبويه عن استخدام مصطلح 'السكون' لصالح 'الوقف' ينمُّ عن رؤيةٍ لسانيةٍ دقيقة؛ فالسكون في جوهره يمثل حالةً من حالات الوقف المتعددة، والتي تتنوع مراتبها بين التمام والحسن والكفاية، مما يجعل الوقف أشمل وأعم في تمثيل ظاهرة الجزم.

يذهب العكبري إلى أن الحركات هي الأصل في الإبانة عن الإعراب، ويستدل على ذلك بوجود ثلاثة:

- الوجه الأول: المناسبة بين العلامة والمعنى؛ فيما أن الإعراب معنى طارئ يزول بزوال العامل، وجب أن تكون علامته "حركة" يسهل زوالها، ليقع التناسب بين المعنى العارض والعلامة العارضة.
- الوجه الثاني: استغناء بالقليل عن الكثير؛ فالحركة أخفّ مؤونةً على اللسان من الحرف، وإذا تحقق الإيضاح والبيان بما هو "أخصر" لفظاً وأخفّ نطقاً، لم يفتقر المرء إلى ما هو أثقل منه.
- الوجه الثالث: صيانة لأصول الكلم؛ فالحروف هي أركان البنية الدالة على ذات الكلمة، فلو جُعِلت علامة للإعراب لاجتمع في الحرف الواحد دالتان (دلالة على عين الكلمة ودلالة على موقعها)، والأصل أن ينفرد كل دليلٍ بمعناه منعاً للبس والاشتراك¹¹.

يتلخص جوهر الإعراب في كونه العلامة المتغيرة التي تعتري أواخر الكلم استجابةً لمقتضيات العوامل واختلاف المواقع الإعرابية. وهذه العلامة ليست مجرد حلية لفظية، بل هي أداة تمييزية تمنح كل موقع خصوصيته الدلالية، فتعمل على فكّ الارتباط بين المعاني المتداخلة، وتُشير بوضوح إلى الوظيفة النحوية الخاصة بالكلمة، مما يضمن استقامة الفهم ووضوح الإبانة.

ويتجسّد هذا المفهوم في ثبات البنية المعجمية للكلمة مع تغير حالتها الإعرابية تبعاً للوظيفة النحوية؛ ففي السياقات الثلاثة: (جاء خالدٌ، ورأيْتُ خالدًا، ومررتُ بخالدٍ)، نجد أنَّ اسم (خالد) حافظ على ذاته اللفظية، بينما تقلبت حركته الإعرابية بين الرفع والنصب والجر. ففي الموضع الأول، استحق الرفع بالضمّة لكونه (فاعلاً) اقتضاه الفعل 'جاء' كعامل، وفي الثاني انتصب بالفتحة لوقوعه (مفعولاً به) تحت تأثير فعل الرؤية، وفي الأخير جُرَّ بالكسرة لمجاورته حرف الجر 'الباء' بوصفه عاملاً لفظياً. وهذا التباين في أواخر الكلم -مع استبعاد الجزم كونه من خصائص الأفعال- يبرهن على أن العلامة الإعرابية هي المرآة العاكسة لتغير العوامل والمواقع.

إنَّ التأمل في تحول العلامات الإعرابية تبعاً لتبدل المراكز النحوية يكشف عن تحولٍ موازٍ في الوظيفة الدلالية للفظة داخل كل سياق؛ إذ تكتسب الكلمة في كل تركيبٍ ملمحاً معنوياً يغيّر صورتها في التراكيب الأخرى. وهذا يُبرهن على أنَّ التغيرات الإعرابي ليس تغييراً شكلياً في الحركات فحسب، بل هو عاملٌ حاسمٌ في إحداث التباين الدلالي وتوجيه المعنى الوظيفي للكلمة بما يتفق مع الغرض التواصلية للجملة.

يتضح مما سبق أنَّ السياق النحوي يمنح اللفظة دلالةً وظيفيةً متفردةً لا تتحقق إلا بموقعها داخل الجملة. فبالمقارنة بين قولنا: (أكرمَ زيدٌ أباهُ) و(أكرمَ زيداً موسى)، يتجلى دورُ العلامة الإعرابية كمحددٍ فاصلٍ بين رتبي الفاعلية والمفعولية؛ فبرغم تقدّم (زيداً) في المثال الثاني، إلا أنَّ ظهور النصب عليه قطع بكونه مفعولاً به، بينما

استُدِلَّ على فاعلية (موسى) من خلال هذا التقابل الإعرابي. وهذا يؤكد أنَّ الحركات الإعرابية هي الضابط الدلالي الذي يُرشد المتلقي لمعرفة أطراف الفعل ومراتبها.

ويؤكد ابن فارس على المحورية الدلالية للإعراب؛ بوصفه الأداة التي تُميز المعاني وتكشف عن مقاصد المتكلمين. ويستدل على ذلك بأنَّ إهمال الإعراب يؤدي إلى انغلاق المعنى واستبهام المراد؛ فعبارات مثل (ما أحسن زيد) أو (ضرب عمر زيد) بدون ضبط أواخرها تظلُّ حمالة أوجه. فإذا استعان المتكلم بالإعراب، انجلت المعاني؛ فبين 'التعجب' في (ما أحسن زيداً)، و'الاستفهام' في (ما أحسنُ زيدٍ)، و'النفي' في (ما أحسنُ زيدٌ)، تبرز العلامة الإعرابية كفيصلٍ دقيق يخرج بالعبارة من حيز الاحتمال إلى حيز الإبانة والوضوح¹².

يتجلى الأثر الدلالي للإعراب في مثال (ما أحسن زيد)؛ فبالرفع يتعين النفي، وبالنصب يتحقق التعجب، وبالجزم يخلص الكلام لـ 'الاستفهام'. ومن منظور الجوهرية، يُمثل هذا التوجيه (الدلالة) الحقبة التي تُسدّد السامع لمقصد المتكلم؛ إذ الحركة الإعرابية هي 'الأمانة' الجوهرية التي تمنح الأداة (ما) هويتها الوظيفية وتحدد بنية المعنى¹³.

وهكذا، يغدو التحول في الحركة الإعرابية المحركَ الأساس لتبدل الدلالة، والفيصل في إعادة توجيه المعنى الوظيفي للتركيب.

3. تعريف علم الدلالة:

1.3. في اللغة: علم الدلالة باعتباره مكوّنًا من مصطلحين علم والدلالة فنعرف الدلالة وأما العلم فهو بيّن ظاهر. **الدلالة:** يُرجع ابن فارس (الدلالة) إلى أصلين؛ أحدهما الإبانة بالأمانة والعلامة كالدلالة على الطريق، والآخر الاضطراب. والمقصود هنا هو الأمانة الكاشفة، إذ يُمثل الإعراب في التركيب تلك العلامة التي تهدي السامع إلى المقصد وتزيل اضطراب المعنى¹⁴. والمقصود بأنه يثلث أي في الدال منه.

وفي السياق المعجمي ذاته، يربط الفيروزآبادي بين الدلالة وبين التسديد؛ إذ يرى أن جوهرها يكمن في توجيه المرء نحو غايته وإرشاده إليها. ويستعمل مصطلح 'الدليل' للإشارة إلى التمكن والرسوخ في علم الدليل، مما يضيف على الدلالة بُعداً معرفياً يتجاوز مجرد الإشارة العابرة إلى مرتبة اليقين في الفهم¹⁵.

تنهض الدلالة عند ابن منظور في لسان العرب على التسديد والإرشاد؛ فالدليل هو المرشد الذي يُستدلُّ به للوصول إلى الغاية، كالانتدال على الطريق. ويُرجح اللغويون وجه الفتح (دلالة) في النطق، لكونه العلامة التي تهدي السامع وتكشف له عن جوهر المقصد¹⁶؛ وأنشد أبو عبيد:

إني امرؤ بالطرق ذو دلالات.

يُصَوِّرُ الشاعرُ معاناةَ سهره واستطالةَ ليله، باحثاً في النجوم عما يُرشدُه إلى اقترابِ الصباح؛ فالنجومُ هنا هي (الدليل) الذي يُهتدى به في الظلمات، وهي (الأمارَة) التي تُهدي السامعَ في بحثنا إلى انصرامِ شكِّ اللفظِ وبزوغِ فجرِ المعنى من خلالِ العلامةِ الإعرابية¹⁷.

يذهب الراغب إلى أنَّ الدلالة هي الوسيط الموصل للعلم بالشيء، سواء أكان رمزاً أو لفظاً أو إشارة، وسواء صَدَرَتْ بقصدٍ أم بغيره. ويرى أنَّ (الدلالة) في أصلها مصدرٌ يُراد به المبالغة في الإبانة، حتى غدا (الدليل) هو المرشد الفعلي الذي يكشف عن الحقائق المستترة، وهو ما يُعزز دور العلامة الإعرابية كوسيلةٍ إيصالٍ يقينية للمقصد الدلالي¹⁸.

ومجمل القول؛ إنَّ المرتكزَ الدلاليَّ لمادة (دَلَّ) يرتدُّ في جوهره إلى الإفصاح والتسديد؛ فالدلالة هي القوة الإرشادية التي تستعين بـ (الأمارَة) كعلامةٍ كاشفةٍ عن المقصد، وهو ما يُرسِّخ دورَ الإعرابِ بوصفه (الدليل) الذي يهدي لعينِ المعنى ويمنح اضطرابَ الفهم.

2.3. الدلالة اصطلاحاً:

جاء في تعريفها الاصطلاحي: تتمثل دلالة اللفظ في تلك العلاقة التلازمية التي تجعل من سماع الكلمة أو استحضار صورتها الذهنية ممراً مباشراً لإدراك المعنى؛ فالدلالة هي القوة التي تربط بين المنطوق وبين ما يرتسم في النفس من مقاصد.¹⁹

يؤصل الجرجاني للدلالة بوصفها علاقة تلازمية؛ حيث يغدو العلم بـ (الدال) جسراً يفضي بالضرورة إلى العلم بـ (المدلول). وبإسقاط هذا المفهوم على نظام الإعراب، تمثل العلامة الإعرابية ذلك الشيء الأول (الدال) الذي يستلزم إدراكه العلم بـ (المعنى النحوي) المختبئ وراءه²⁰.

وعُرفت الدلالة بكونها علاقة استلزامية؛ حيث يُفضي إدراك (الشيء الأول) بالضرورة إلى استحضار (شيءٍ آخر) في الذهن. وبذلك يغدو الأول هو الدال الكاشف، والثاني هو المدلول المراد؛ وهو ما يُفسر دور العلامة الإعرابية بوصفها القنطرة التي يعبرُ من خلالها السامعُ إلى مقاصد الكلام²¹.

واتفق أهل الأصول والميزان والعربية على أنَّ الدلالة هي تلك الاستقامة التي تجعل من إدراك (الدال) ممراً حتمياً لاستحضار (المدلول)؛ فالعلم بالعلامة يستلزم بالضرورة العلم بالمعنى المرتبط بها، وهو ما يُكرِّس وظيفة الإعراب كدليل يقيني يُفضي إدراك حركته إلى إدراك مقتضاه الدلالي²².

وعند المحدثين؛ يُصنَّف علم الدلالة بوصفه الفرع اللساني المختص بتحليل (المعنى) وسير أغواره؛ فهو العلم الذي يدرس القوانين الحاكمة لنظرية المعنى، والضوابط الواجب تحقيقها في (الرمز اللغوي) ليكون وعاءاً حاملاً

للدلالة. وبناءً عليه، يغدو الإعراب في هذا الإطار المحدث هو ذلك (الرمز) الذي يمنح اللفظ قدرته التعبيرية، ويُخرجه من حيز الصمت إلى فضاء الإبلاغ.²³

فعلم الدلالة معني في المقام الأول بالمعنى و يظل عاكفا على دراسته.

يرى تمام حسان أن لكل لفظة مع قرينتها مقاماً خاصاً؛ حيث يولد (مضمون) جديداً من اندماج النحو بالمعاني. وهذا المضمون يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسياق الجملة ومواطن استعمالها، مما يمنح التوجيه الإعرابي قيمة دلالية تتجاوز مجرد الضبط الشكلي لتصل إلى جوهر القصد اللغوي²⁴. من هذا المنطلق تبين أن للنحو أو الإعراب مع الدلالة رابط متين لا يمكن قطعه. وهو ذلك المعنى التي تقوم بها وعليها الجمل.

4. نماذج بعض الظواهر الإعرابية ومعانيها:

مما سبق ذكره وإيراده فإن لأواخر الكلم تأثيراً جلياً في المعنى والدلالة وخير ما يستدل به هو اختلاف القراءات القرآنية باختلاف معانيها. وخير ما نبتدئ به مثالا من فاتحة الكتاب.

أ- قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. [الفاتحة 6، 7].

يوجه الزجاج خفض (غير) في قوله تعالى: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) على مسارين؛ أولهما البدلية من (الذين)، وثانيهما الوصفية. ورغم أن (غير) تقع في الأصل صفة للنكرات، إلا أنها صلحت هنا صفة ل (الذين)؛ لأن التعريف فيها لم يقصد به التعيين، بل جرت مجرى النكرات في الدلالة على الجنس، تماماً كما في قولنا: (إني لأمرُّ بالرجل مثلك)، حيث تُعامل الكلمة معاملة النكرة في قبول الوصف²⁵.

ب- وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة/6].

تعدُّ آية الوضوء نموذجاً تطبيقياً لسيادة الإعراب على المعنى؛ فقد قرئت {وَأَرْجُلَكُمْ} بالنصب عطفاً على المنصوبات السابقة (الوجوه والأيدي)، مما أوجب الغسل. وقرئت بالخفض عطفاً على (رؤوسكم)، وهو ما استدل به البعض على المسح. وقد وجه الجمهور قراءة الخفض بأنها (جرُّ على الجوار) أو محمولة على المسح على الخفين، مؤكداً أن الفارق الجوهرى بين المسح والغسل يكمن في كيفية إمرار الماء وذلكه، مما يبرهن أن تغير الحركة الإعرابية هو أصل التباين في الأحكام الفقهية²⁶.

وعليه، فإنّ التغيرات الإعرابي في لفظ (أرجلكم) أفرز حكمين متمايزين؛ فـ النصب استوجب الغسل، والجرّ استدعى المسح، وهو اختلافٌ تجاوز حدود اللفظ ليمسّ جوهر العبادة وصفة أدائها، مما يؤكد أنّ الحركة الإعرابية هي الضابطُ الأول لتوجيه المقصد الشرعي.

ت- وفي قوله جل شأنه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة/119].

يتجلى أثر الإعراب في توجيه المعنى في لفظ (يوم)؛ فمن قرأ بـ الرفع جعلها خبراً للمبتدأ (هذا)، فيكون الإخبار عن عظمة اليوم ونفعه بذاته. أما من قرأ بـ النصب فقد جعلها ظرفاً للقول؛ ليكون المعنى أنّ إجابة الله لعيسى -عليه السلام- تقع في ذلك التوقيت. وهذا التباين بين الرفع (على الإخبار) والنصب (على الظرفية) يبرز كيف تُعيد الحركة الإعرابية صياغة الرابطة بين عناصر الجملة ومقاصدها الزمانية²⁷.

ث- وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام/55]. تتعدد الوجوه الإعرابية في قوله تعالى: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ]. فمن قرأ بـ الرفع جعل (السبيل) فاعلاً لبيان ظهوره وانكشافه، ومن قرأ بـ النصب جعل الخطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين طلباً لزيادة الاستبانة واليقين. وقد حُصّ طريق المجرمين بالذكر استغناءً به عن ذكر طريق المؤمنين؛ إذ إنّ جلاء معالم الباطل يستلزم بالضرورة ظهور معالم الحق، وهو ما يبرز كيف تُوجّه الحركة الإعرابية مسار الخطاب وتُحدّد المقصود منه²⁸.

ج- آية أخرى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف/26].

يبرز أثر الإعراب في قوله تعالى: [وَلِبَاسُ التَّقْوَى] عبر وجهي الرفع والنصب؛ فمن قرأ بـ الرفع جعل (اللباس) مبتدأً خبره (خير)، أو خبراً لمبتدأٍ مضمّر، ليكون التركيز على فضل لباس التقوى ورفع شأنه. أما من قرأ بـ النصب فقد عطّفه على المفاعيل السابقة (لباساً وريشاً)، ليدخل في حيز المنة والإنزال؛ فالمعنى: (وأنزلنا عليكم لباس التقوى). وهذا التباين الإعرابي يُحوّل الدلالة من الإخبار بفضيلته إلى التذكير بنعمة إنزاله، مما يؤكد أنّ الحركة هي الموجه الأول للمقصد القرآني²⁹.

ح- وجاء في توجيه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام/83].

تتعدد المسارات الدلالية في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ تبعاً لاختلاف القراءة بين التنوين والإضافة؛ فمن قرأ بـ التنوين (درجات) فتح للفظ خمسة آفاق إعرابية: (الظرفية، المفعولية الثانية،

الحالية بتقدير مضاف، التمييز المحول، أو الجر بحرف مقدر). وكل وجهٍ منها يمنح الفعل (نرفع) طاقةً دلاليةً متجددة، سواء بتضمينه معنى 'العطاء' أو 'التشريف'. أما قراءة الإضافة (درجاتٍ مَنْ) فجعلت 'الدرجات' هي المفعول المباشر؛ مما يربط رفعة الشأن بذات المنزلة الممنوحة. وهذا التنوع الإعرابي يُعمّق مفهوم 'الرفعة الإلهية' ويجعلها شاملةً للمكان والمكانة، مؤكداً أنَّ الإعراب هو المفتاح الأوحّد لاستنتطاق أسرار النظم القرآني³⁰.

فالتنوين وعدمه في "درجات" أعطى للآية معانٍ مختلفة وإن كان ظاهرها التقارب.

خ- في سورة سبأ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [سبأ/19]

تنوع المسارات الدلالية في هذه الآية تبعاً لتغير الحركات؛ فمن قرأ ب النصب والطلب (﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾) جعلها دعاءً صادراً عن (بَطَرٍ) وطلبٍ لمشقة السفر. ومن قرأ ب الرفع والخبر (﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾) جعلها شكوى من عناء السفر القريب تعنتاً منهم. ويبرز في توجيه (بَيْنَ) أثر دلالي عميق؛ فمن نصبها على الظرفية جعلها وعاءاً للمسافة، ومن رفعها (﴿بَيْنُ﴾) جعلها هي الفاعل الموصوف بالبُعد، مما يُخرجها من حيز الوعاء إلى حيز الذات المعبرة عن اتساع الشقّة. وهذا التباين الإعرابي يُحوّل النصّ من (صيغة الطلب) إلى (صيغة الإخبار)، ويُجسّد حال القوم في تقلبهم بين الطغيان والشكوى.³¹

د- ولنا كذلك في موروثنا من الشعر ما قد نستدل به ما جاء في الأشباه والنظائر أنه روى الخطيب³² في ترجمة الكسائي من تاريخ بغداد أنه كتب إلى محمد بن الحسن³³.

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمئ
وإن تحرقي يا هند فالحرق أشأم

وأنت طلاق والطلاق عزيمة
ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

وبعض الناس يحكي أن هارون [الرشيد] كتب إلى القاضي أبي يوسف بهذين البيتين وسأله -ماذا يلزمه إذا رفع ثلاثاً، وما يلزمه إذا نصب- وأن أبا يوسف سأل الكسائي فقال: يلزمه بالرفع واحدة، لأنه قال: أنت طالق، ثم أخبر أن الطلاق التام [ثلاث]، وبالنصب ثلاث؛ لأن معناه: أنت طالق ثلاثاً. وما بينهما جملة معترضة".³⁴

وما سلف؛ يتضح أنَّ العلامة الإعرابية ليست مجرد رتبة نحوية جافة، بل هي أداة ذات وظيفة مزدوجة؛ تضبط البناء التركيبي من جهة، وتمنحه دلالة المقصدية من جهة أخرى. وبناءً عليه، يغدو الإعراب هو الموجه الدلالي الذي يصوغ المعنى ويحميه من التباس المقاصد وتداخل الأحكام.

5. خاتمة:

يُمَثِّلُ الإعرابُ الظهيرَ المعرفيَّ والمفتاحَ البيانيَّ الذي لا يستغني عنه المفسرُ في استنطاقِ آيِ الذكر الحكيم؛ إذ بمنحه القدرةَ على جلاءِ المرادِ الإلهيِّ وصيانةِ النصِّ من احتمالاتِ الزلل. فهو ليس مجردَ ضابطٍ لفظيٍّ، بل هو الميزانُ الدلاليُّ الذي يُبَدِّدُ اللبسَ ويؤمِّنُ الفهمَ السليمَ، وبدونه تظلُّ أدواتُ المفسرِ قاصرةً عن بلوغِ أعماقِ الدلالةِ وإدراكِ أسرارِ النظمِ القرآني.

بناءً على ما تقدم من تلازمٍ عضوي بين النحو والدلالة، فإنَّ الدراسةَ تُوصي طلبةَ العلم بضرورة الإقبالِ على فقه الإعرابِ وضبطِ أصوله؛ فليس هو بمجردِ قوالب جامدة، بل هو المفتاحُ البيانيُّ الذي يؤمِّنُ الفهمَ السليمَ لكتابِ الله. كما تدعو الدراسةُ إلى عقدِ الندواتِ والأيامِ العلمية لإبرازِ المركزيةِ الإعرابيةِ في العملية التفسيرية.

6. الهوامش:

- ¹ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، دار صادر، بيروت: 1992، ص589.
- ² الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، ج2، ط1، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 2001، ص219.
- ³ الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، تحت حديث رقم 17722 عن عدي بن عميرة الكندي، مؤسسة الرسالة: 2001.
- ⁴ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت: 1992، ص557.
- ⁵ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ص299.
- ⁶ ابن الوراق، علل النحو، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، ط1، مكتبة الرشد، الرياض/السعودية: 1999، ص142.
- ⁷ ابن جني، الخصائص، ج1، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص36.
- ⁸ السهيلي أبو القاسم، نتائج الفكر في النحو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1992، ص66.
- ⁹ البجائي أحمد الأبدئي، شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو، تح: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112 - السنة 33، 2001م، صص 450-499.
- ¹⁰ سيويو، الكتاب، ج1، ط3، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1988، ص13.
- ¹¹ العكبري أبو البقاء البغدادي، اللباب في علل البناء والإعراب، ج1، ط1، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، 1995، صص 54-55.
- ¹² ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، الناشر: محمد علي بيضون، 1997، ص143.

- ¹³ أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، ط1، مكتبة الأسد، مكة المكرمة: 2010، ص234.
- ¹⁴ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، ص259.
- ¹⁵ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط8، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 2005، ص1000.
- ¹⁶ ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص249.
- ¹⁷ العكبري أبو البقاء البغدادي، شرح ديوان المتنبي، ج3، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلي، دار المعرفة، بيروت: د.ت، ص97.
- ¹⁸ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، ص316-317.
- ¹⁹ الأصفهاني أبو القاسم محمود بن عبد الرحمن، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ج1، ط1، تح: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية: 1986، ص154.
- ²⁰ الجرجاني الشريف، التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: 1983، ص104.
- ²¹ ابن النجار تقي الدين أبو البقاء، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، ج1، ط2، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، 1997، ص125.
- ²² التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ط1، تح: علي دحروج، تر: جورج زيناني، 1996، ص787.
- ²³ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة: 1998، ص11.
- ²⁴ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، 2006، ص20.
- ²⁵ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ط1، تح: عبد الجليل عبده شلي، 1988، ص53.
- ²⁶ ابن جُزَي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ط1، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت: 1994، ص224.
- ²⁷ المصدر نفسه، ج2، ص244.
- ²⁸ المصدر نفسه، ج2، ص254-255.
- ²⁹ الأزهرى الهروي أبو منصور، معاني القراءات، ج1، ط1، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية: 1991، ص403.
- ³⁰ السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج5، د.ط، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق: د.ت، ص26-27.
- ³¹ المصدر نفسه، ج9، ص175.
- ³² هو البغدادي المحدث المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات؛ كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه... توفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد. ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ط1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: 1990، ص92-93.

³³ هو أبو يوسف الشيباني الفقيه صاحب أبي حنيفة الإمام، قال عنه هلال بن يحيى: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه، ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف. ينظر: المصدر السابق، ج6، ص378 وص382.

³⁴ السُّبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، الأشباه والنظائر، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، 1991، ص335.

6.المراجع :

1. ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء، مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، ج1، ط2، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، (مكتبة العبيكان، 1997).
2. ابن الوراق، علل النحو، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، ط1، (الرياض، السعودية: مكتبة الرشد، 1999).
3. ابن جُزَي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ط1، تح: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1994).
4. ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ط4، د.ت.
5. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ط6، تح: إحسان عباس، ط1، (بيروت: دار صادر، 1990).
6. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ط1، تح: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1990). الأزهرى الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، ج2، ط1، تح: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001).
7. ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، (الناشر: محمد علي بيضون، 1997).
8. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ط4، تح: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1979).
9. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط11، (بيروت: دار صادر، 1992).
10. أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، ط1، (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، 2010).
11. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، (القاهرة: عالم الكتب، 1998).
12. الأزهرى، الهروي أبو منصور، معاني القراءات، ط1، (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب، 1991).

13. الأصفهاني شمس الدين أبو القاسم محمود بن عبد الرحمن، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ج1، ط1، تح: محمد مظهر بقاء، (السعودية: دار المدني، 1986).
14. البجائي، أحمد الأندلسي، شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو، تح: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ/2001م.
15. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ج5، ط5، (عالم الكتب، 2006).
16. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ط1، تح: علي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996).
17. الجرجاني الشريف، التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1983).
18. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، تح: صفوان عدنان الداودي، (دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1992).
19. الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ط1، تح: عبد الجليل عبده شلبي، (1988).
20. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، الأشباه والنظائر، ج2، ط1، (دار الكتب العلمية، 1991).
21. السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج2، د.ط، تح: أحمد محمد الخراط، (دار القلم، دمشق، د.ت).
22. السهيلي، أبو القاسم: نتائج الفكر في النحو، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992).
23. سيويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط3، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988).
24. العكبري أبو البقاء البغدادي، اللباب في علل البناء والإعراب، ج1، ط1، تح: عبد الإله النبهان، (دمشق: دار الفكر، 1995).
25. العكبري أبو البقاء البغدادي، شرح ديوان المتنبي، ج3، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
26. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج11، ط8، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).